للجراة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة بامر
المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا
فلا ينظر العبد الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه
وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية
ومعصية فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه ان يذهب في مهم له الى
بلد بعيد وامر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفاه
في امره لكانا في مقته والسقوط في عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة وترك الجماعة وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية
من تركه من المكان البعيد فالواجب على هذا اكبر من الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مائتا درهم فمنع زكاتها ومع اخر مائتا الف الف فمنع زكاتها لاستويا في
منع ما وجب على كل واحد منهما ولا يبعد استواهما في العقوبة اذ كان
كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا **فصل** تكشف نصر
الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه و
خلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة
كلها له والدعوة له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له
وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض
كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس
بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض كما قال تعالى

لقد ارسلنا

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن
اعظم القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك
اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر
الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل
واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده
وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات
لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله
واهله وولده لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته
وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في الاخرة دعوة او
او يقبل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من دونه
ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى فانه
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعا كحال الملوك فالمشرك لم يقصد
الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط
ليقربوني اليه ويدلوني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء فلما كان هذا القدر
موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء اصحابه
واستباحة حريمهم واموالهم ويترتب على هذا سوال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع
الله سبحانه التقرب اليه بالشفعا والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد من
الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول من قبح الذي هو اقبح من كل قبيح وما السر في
كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فتامل هذا السوال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا
تستهون به فان به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة

Copyright © King Saud University